ركائز منهج السلف في الدعوة إلى الله

لفضيلة الدكتور عبدالله بن محمد المجلي

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد:

فلما كانت الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دين الإسلام من أعظم الأعمال الصالحة وأفضل القربات النافعة كان لابد في أدائها والقيام بها السير على المنهج المشروع والمسلك المتبوع الذي يعتمد على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ بفهم سلف الأمة المهديين وأئمتها المرضيين.

وتشتد الحاجة لمعرفة المنهج السليم والطريق القويم في الدعوة إلى الله تعالى في هذا الزمن الذي اختلطت فيه المفاهيم واضطربت فيه الأفكار وتضاربت فيه الآراء عند كثير من الناس فوقعت من بعضهم ممارسات وتطبيقات - زعموها دعوية - جانبوا فيها الصواب وارتكبوا فيها المحذور من الأقوال والأفعال، وكان من أظهر عواقبها الوخيمة

وآثارها السيئة على الأمة؛ الفرقة والاختلاف بين مجتمعات المسلمين والتي كانت سببا للفشل والإخفاق في عدد من مجالات الحياة بينهم، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦)

ولن تتخلص مجتمعات المسلمين من حالها التي هي عليها بعد توفيق الله تعالى إلا بوجود دعوة صادقة صحيحة قائمة على الأصول والقواعد الشرعية التي كان عليها سلف الأمة الصالحون وأئمة الدين والهدى أهل العلم والبصيرة والاستقامة وحسن السيرة، ومن جاء بعدهم ممن سار على نهجهم واقتفى أثرهم والتزم طريقهم.

وإن هذا البحث جهد علمي يسعى لتقديم إضاءات نافعة بإذن الله تعالى تسهم في تحديد معالم المنهج السديد والمسلك القويم في الدعوة إلى الله تعالى.

ويحاول - بعون الله - تزويد المعنيين بأمر الدعوة - دارسين وممارسين - ببعض المفاهيم والمنطلقات والقواعد المبنية على الدليل الشرعي والتي لابد منها في أي عمل دعوي رشيد.

ويقوم هذا البحث في منهجه العلمي على: الاستقراء، والاستنباط، والتحليل للنصوص الشرعية بما يخدم قضية البحث وموضوعه الذي هو بعنوان: (ركائز منهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله تعالى).

وينقسم إلى مبحثين: أولهما يتناول التعريفات والمفاهيم

لمصطلحات البحث ومفردات عنوانه.

والثاني: يتكون من مطالب خمسة يتضمن كل واحد منها الحديث بالتفصيل عن ركيزة من ركائز المنهج والتي هي: العلم، والاستقامة، والحكمة، وسلامة الأساليب، والصبر.

والله تعالى الموفق والمعين وهو المسؤول سبحانه أن يجعل هذا الجهد مسددا، وخالصا لوجهه، ونافعا لكاتبه وقارئه، ومثريا للميدان العلمي في تخصصه.

المبحث الأول: تعريفات ومفاهيم

يحسن الحديث قبل الدخول في تفصيلات البحث أن نعرف تعريفا موجزا بمفردات عنوانه وهي الركائز، والمنهج، والسلف الصالح، والدعوة إلى الله

فالركيزة: ما يرتكز عليه الشيء حتى يكون ثابتا مستقرا[1]، ونعني بها هنا: القواعد التي يقوم عليها العمل الدعوي وتحكمه وتضبطه حتى يكون سديدا.

والمنهج: في اللغة كالنهج وهو الطريق البين الواضح[2]، وهو في الاصطلاح الدعوي: مجموعة القواعد والأصول الدعوية الثابتة التي لا تتغير بتغير الظروف والأحوال.

---

(١) انظر: لسان العرب/ابن منظور (بيروت:دارالفكر:ط١ :١٤١٠) ٥/٣٥٦ .

(٢) انظر: القاموس المحيط/الفيروزآبادي(بيروت:مؤسسة الرسالة:ط٢ :١٤٠٧) ٢٦٦ .

وهو يختلف عن الأسلوب في الاصطلاح الدعوي، إذ الأسلوب: هو مجموعة الممارسات والتطبيقات الدعوية المتنوعة والمتغيرة بتغير الظروف والأحوال.

فالمنهج الدعوي أصول ثابتة وقواعد مستقرة لا مجال للاجتهاد فيه، أما الأسلوب الدعوي فممارسات وتطبيقات معنوية أو حسية يمكن الاجتهاد فيه بشرط عدم الخروج على القواعد الشرعية.

أما تعريف السلف في اللغة فهو: كل من سبق في الزمان وتقدم وانقضى[1].

وفي الاصطلاح: هم أصحاب النبي ﷺ والتابعون وأتباع التابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الدين وأعلام الملة الذين ساروا على منهج النبي ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل ولم يخالفوا في شيء من ذلك[2].

وهؤلاء هم السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، وهم الجماعة،

---

(١) انظر: القاموس المحيط/ابن منظور(مرجع سابق) ١٠٦٠، والمعجم الوسيط/ابراهيم أنيس وآخرون (القاهرة:مجمع اللغة العربية) ٣٦٩/١ .

(٢) انظر: شرح الطحاوية /علي الحنفي (الرياض:وزارة الشؤون الإسلامية:١٤١٨) ٥٠٣، وشرح العقيدة الواسطية/محمدبن عثيمين (الرياض:دار الثريا:١٤١٩) ٣٧-٤٠ و ٦٨٤، ومباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة/ناصر العقل (الرياض:دار الوطن:ط١) ١٣-١٦، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية/عثمان ضميرية (جدة: مكتبة السوادي:ط٢) ١٤٧-١٥٠.

وهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم أهل الحديث، وأهل الأثر، وهم أهل السنة وهم الغرباء إلى غير ذلك من أوصافهم التي جاءت نصوص السنة بكثير منها، ومن ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام (**لايزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**)[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث الافتراق (**والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل يارسول الله من هم قال الجماعة**)[2]، وقوله عليه الصلاة والسلام (**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، قيل: يارسول الله من هم قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس أو يصلحون ما أفسد الناس**)[3].

ولكونهم يجتمعون على الحق، ولأنهم أهل اتباع لا ابتداع وأهل اجتماع لا افتراق فمنهجهم وطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم، فالخير كل الخير في

---

(١) صحيح البخاري/كتاب الاعتصام بالسنة: باب قول النبي ﷺ لاتزال طائفة من أمتي/٦٦٧، وصحيح مسلم/كتاب الإمارة: باب قول النبي ﷺ لاتزال طائفة من أمتي/ ٣٥٤٤.

(٢) سنن ابن ماجه/كتاب الفتن: باب افتراق الأمم/ ٣٩٨٢ ، وسنن أبي داود/كتاب السنة: باب شرح السنة/ ٣٩٨١ (صححه الألباني: صحيح سنن ابن ماجه:٣٢٢٦).

(٣) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا/ ٢٠٩، ومسند الإمام أحمد/أول مسند المدنيين: حديث عبدالرحمن بن سنة/ ١٦٠٩٤ وهذا لفظه.

اقتفائها والسير عليها، والاقتداء بهم، ولزوم منهجهم وسبيلهم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١]، وقال سبحانه ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[٢].

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال ((**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**))[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحسن الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور**

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) النساء: ١١٥.

(٣) سنن الترمذي/كتاب العلم:باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة/٢٦٠٠ ، وسنن أبي داود/كتاب السنة:باب في لزوم السنة/ ٣٩٩١ (صححه الألباني:صحيح سنن الترمذي:٢١٥٧.

محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[1].

ونقل الآجري عن محمد بن الحسين قوله: (علامة من أراد الله عز وجل به خيرا سلوك هذه الطريق كتاب الله عز وجل وسنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد...)[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي: (فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصا الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم فإنهم خلفاء الرسول في أمته والمحيون لما مات من سننه بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق وبه نطقوا وكلهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول ﷺ ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء الحديث بخلافه فلا بد له في تركه من عذر، وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله. والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول، الثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ. فلهم

---

(١) صحيح مسلم/كتاب الجمعة:باب تخفيف الصلاة والخطبة / ١٤٣٥ .

(٢) الشريعة/الآجري (الرياض:دار السلام:ط١ :١٤١٣) ٢٤.

الفضل علينا والمنة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا وإيضاح ما كان منه يخفى علينا فرضي الله عنهم وأرضاهم: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] [٢].

أما تعريف الدعوة: ففي اللغة فلها معان كثيرة منها: الحث والحض والطلب والنداء والدعاء والرجاء والرغبة[٣].

وفي الاصطلاح هي: قيام المكلفين بتبليغ الإسلام للناس وإقامته بينهم بطرق مشروعة.

ويقوم منهج السلف الصالح في الدعوة على ركائز خمس هي: العلم، والاستقامة، والحكمة، وسلامة الوسائل والأساليب الدعوية، والصبر[٤].

وفيما يلي بيان كل واحد منها:

---

(١) الحشر: ١٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية/علي الحنفي(مرجع سابق) ٥٠٣ .

(٣) انظر: لسان العرب/ابن منظور (مرجع سابق)١٤/٢٥٧، والقاموس المحيط/ الفيروز آبادي (مرجع سابق) ١٦٥٥.

(٤) انظر:حاشية ثلاثة الأصول/عبدالرحمن بن قاسم (الرياض:ط٥ :١٣٩٥) ٥، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(الرياض: دار البحوث العلمية: ط١٤١٩:١) ٢٤٢/١٢ – ٢٤٦، ومحاضرات في العقيدة والدعوة/صالح الفوزان(الرياض:دار العاصمة:ط١ :١٤١٣) ١٣٨/١-١٤٠.

المبحث الثاني : ركائز المنهج

المطلب الأول: العلم

العلم من الألفاظ التي يصعب تعريفها تعريفا دقيقا حتى قيل إنه مستغنٍ عن التعريف، ومما عرف به: أنه إدراك الشيء على ما هو عليه، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، وقيل: علمه يعلمه علماً عرفه حق المعرفة. وهو ضد الجهل ونقيضه(١) .

وللعلم منزلة عالية، ومقام رفيع، فبالعلم يفوق الإنسان غيره، ويسبق من سواه، ويتقدم على من عداه، و (العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب؛ لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي على طالبه. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) فمنع المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم....وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الناس أبناء ما يحسنون. وقال مصعب بن الزبير: تعلم العلم فإن

---

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز /الفيروز آبادي (بيروت: دار الكتب العلمية:د٠ت) ٤/٨٨، والتعريفات/ علي الجرجاني (بيروت: عالم الكتب: ١٤٠٧) ص٢٠٠، والمصباح المنير/أحمد الفيومي (بيروت: المكتبة العصرية: ١٤١٨) ص٢٢١.

(٢) الزمر:٩.

يكن لك مال كان لك جمالا وإن لم يكن لك مال كان لك مالا. وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم. وقال بعض الحكماء: العلم شرف لا قدر له، والأدب مال لا خوف عليه[(١)].

والعلم أنواع كثيرة وفق عدد من التصنيفات في مقدمتها العلم بأمور الدين والشريعة وهو الذي نعنيه هنا ونركز عليه لصلته بموضوعنا فهذا العلم كما تدل عليه النصوص الشرعية وأقوال سلف الأمة: هو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم ووراثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحوال، وهو الحاكم والمفرق بين الشك واليقين، وبين الغي والرشاد والهدى والضلال، به يُعرف الله ويُعبد ويُذكر ويُوحد، وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكنف الذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه، مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته عبادة، وهو حجة الله في أرضه، ونوره بين عباده، وقائدهم ودليلهم إلى جنته، ومدنيهم من كرامته، ويكفي في شرفه أن فضل أهله على العباد كفضل القمر ليلة

---

(١) أدب الدنيا والدين/ الماوردي (بيروت:دار إحياء العلوم:ط١٤٠٨:١) ص٦٢-٦٣.

البدر على سائر الكواكب، وكفضل سيد المرسلين على أدنى الصحابة منزلة، وأن الملائكة تضع لهم أجنحتها وتظللهم بها، وأن العالم يستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر وحتى النملة في حجرها، وأن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير[1].

أدلة فضل العلم:

وأدلة فضل العلم ومكانته في الكتاب والسنة كثيرة جدا منها: أن الله تعالى أمر أعلم العباد وأكملهم محمداً ﷺ أن يسأله الزيادة من العلم دون غيره لشرفه فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2] ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يدعو بزيادة العلم النافع فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول «**اللّهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من عذاب النار**»[3].

وأخبر تعالى عن رفعة أهل العلم وتقدمهم على غيرهم في قوله تعالى:

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة/ابن القيم (الرياض: رئاسة البحوث العلمية والإفتاء: د٠ت) ١/٨٤ ، وبصائر ذوي التمييز/ الفيروزآبادي (مرجع سابق) ٤/٩١.

(٢) طه:١١٤.

(٣) سنن الترمذي/ كتاب الدعوات: باب في العفو والعافية/ ح٣٥٢٣، وسنن ابن ماجه/كتاب المقدمة: باب الانتفاع بالعلم والعمل/ ح٢٤٧ (صحيحه الألباني: صحيح سنن الترمذي:٢٨٤٥).

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[١].

ونفى تعالى التسوية بين من يعلم وبين من لا يعلم فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢].

والعلماء هم أكثر الناس خشية لله لكمال معرفتهم به يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[٣].

والعلم يسبق العمل، ولا عمل صائب إلا بعلم كما قال تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[٤].

والعلم النافع يبقى نفعه مستمرا لصاحبه بعد موته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»[٥].

والتفقه في الدين خير عظيم لأهله فعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**»[٦].

---

(١) المجادلة:١١.

(٢) الزمر:٩.

(٣) فاطر:٢٨.

(٤) محمد:١٩.

(٥) صحيح مسلم/كتاب الوصية:باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته/ ح٣٠٨٤، وسنن النسائي/كتاب الوصايا:باب فضل الصدقة عن الميت/ح٣٥٩١ .

(٦) صحيح البخاري/كتاب العلم:باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين/ ح٦٩، وصحيح مسلم/كتاب الزكاة :باب النهي عن المسألة/ح١٧٢١ .

والسعي في طلب العلم فيه أجر عظيم وفضل كبير فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة**»[1].

وعن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**»[2].

ومن وصايا عبد الله بن مسعود قوله (**اغد عالما أو متعلما أو**

(١) صحيح مسلم/كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر/ ح٤٨٦٧، وسنن الترمذي /كتاب العلم: باب فضل طلب العلم/ح٢٥٧٠.

(٢) سنن الترمذي /كتاب العلم:باب فضل الفقه على العبادة/ح٢٦٠٦ ، وسنن أبي داود/كتاب العلم:باب الحث على طلب العلم/ ح٢١٥٧ (صححه الألباني: صحيح سنن الترمذي:٢١٥٩) .

مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك)[١]. فهذه النصوص وغيرها تدل على فضل العلم وأهميته.

درجات العلوم:

والعلوم ليست على درجة واحدة في الحكم والفضل وإنما هي تتفاوت فمن العلوم ما يكون تعلمه فرض عين، وهو تعلم المكلف ما لا يتأدى الواجب الذي تعين عليه اعتقاده وفعله إلا به، كأصول الإيمان وفروع الشريعة الواجبة ككيفية الوضوء، والصلاة، ونحوهما مما يحتاج إليه العبد في إقامة دينه وإخلاص عمله لله تعالى ومعاشرة عباده.

ومنها ما تعلمه فرض كفاية، وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة جميع أمور دينهم من فروع العلوم الشرعية وتفصيلاتها مما هو دون الأول، ومما لابد للناس منه في قيام دنياهم وانتظام معايشهم من علوم الطب والصناعات والزراعة وغيرها.

ومن العلوم ما تعلمه محرم على تفاوت في درجات التحريم كعلم السحر والشعبذة والتنجيم، وكل ما كان تعلمه سببا في الفساد والشر فتعلمه ممنوع شرعا[٢] .

(١) سنن الدارمي/كتاب المقدمة:باب ذهاب العلم/٢٤٨ .

(٢) **انظر**: المجموع شرح المهذب/النووي (بيروت: دار إحياء التراث العربي:١٤١٥) ٤٩/١، والاستقامة/ابن تيمية (الرياض:جامعة الإمام:ط٢:١٤١١) ١٥٩/٢-١٦١، وكتاب العلم/محمد بن عثيمين (الرياض:دار الثريا:ط١:١٤١٧) ص١٢٧.

وكل ما لا يحرم تعلمه ولا ينشط على الشر ولا يثبط عن الخير فمباح تعلمه ويؤجر صاحبه إن شاء الله إذا حسنت نيته وقصد نفع عباد الله.

العلم الدعوي:

(ولما كانت الدعوة إلى الله من أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه)[١] .

ولذلك جعل الله تعالى الدعوة بعد التفقه في الدين كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٢].

والعلم وإن كان مطلوبا لكل أحد فهو في حق الداعية ألزم وأوجب إذ لا يمكن قيام دعوة صحيحة من دون علم، وبدونه تتحول الدعوة إلى دعوة فاسدة ضالة قائمة على الجهل والهوى وتقود إلى الفتنة والفساد والضلال قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٣].

ويعد القائم بالدعوة من دون علم من القائلين على الله وعلى رسوله بغير علم وقد قال تعالى فيهم: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة/ابن القيم(مرجع سابق) ١/ ١٥٤.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) الأنعام:١١٩.

ﭐلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(١)]، وحذر تعالى من ذلك بقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[(٢)]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾[(٣)].

وحذر من ذلك رسوله ﷺ في قوله: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(٤)].

والعلم الذي يجب أن يكون عليه الداعية حال دعوته ينقسم إلى ثلاثة أقسام[(٥)] :

أ- **العلم بموضوع الدعوة ومضمونها**: فلا يتحدث الداعية إلا في أمر يعلمه، ولديه معرفة كافية بطبيعته و بحقيقته ومشروعيته وأدلته.

ب- **العلم بكيفية الدعوة وطريقتها**: بمعنى أن يكون الداعية على علم ومعرفة بمنهج الدعوة وبالأساليب والوسائل المناسبة التي يجب أن

---

(١) الأنعام:١٤٤.

(٢) الأعراف:٣٣.

(٣) الإسراء:٣٦.

(٤) صحيح البخاري/كتاب العلم:باب إثم من كذب على النبي ﷺ/ ١٠٧ ، وصحيح مسلم/كتاب المقدمة: باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ / ٤.

(٥) انظر: رسالة في الدعوة إلى الله/ محمد بن عثيمين (مصر:مكتبة الربانيين:د٠ت) ٢١.

يسلكها في دعوته من حيث مشروعيتها وكيفية استخداماتها والظروف المحيطة بذلك.

ج- **العلم بالمدعوين**: وهم جمهور الدعوة فيعرف الداعي أصناف المدعوين وطبائعهم وظروفهم وأحوالهم ومستوياتهم العلمية والاجتماعية ليختار لهم من الأساليب أنجعها ومن الطرق أنفعها ومن الموضوعات أنسبها. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. والبصيرة بمعناها العام هي العلم والفهم فتتناول هذه الأمور الثلاثة في حق الداعية.

كما يدل على ذلك تعليم النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه هذه الأنواع الثلاثة كلها لما بعثه إلى اليمن داعيا فقد قال عليه الصلاة والسلام له: «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك و كرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»[2].

---

(١) يوسف:١٠٨.

(٢) صحيح البخاري/كتاب الزكاة:باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء.../١٤٩٦، وصحيح مسلم/كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام/ ٢٧ .

فقوله عليه الصلاة والسلام (أهل كتاب) إخبار منه عليه الصلاة السلام بحال المدعوين وطبيعتهم.

وذكره التوحيد والإقرار برسالته والصلاة والزكاة وتجنب الظلم وتحري العدل بيان لموضوعات الدعوة.

والترتيب بين تلك الموضوعات من حيث البدء بالأهم منها فما دونه يدل على كيفية الدعوة وطريقتها.

وهناك أدلة أخرى تشير إلى أهمية هذه الأمور الثلاثة وضرورتها للداعية وتدل عليها، كما في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد في دعوة ملكة سبأ إذ تضمنت القصة ما يدل على العلم بحال المدعو في قوله تعالى عن خبر الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[1].

وتضمنت ما يدل على العلم بموضوع الدعوة في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[2].

(١) النمل:٢٢-٢٤.

(٢) النمل: ٢٩-٣١.

وتضمنت ما يدل على العلم بأساليب الدعوة ووسائلها في قوله سبحانه: ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[2].

أما الأدلة على كل واحد منها فهي كثيرة جدا، من ذلك في مجال كيفية الدعوة حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أموره قال: «**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**»[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما حينما بعثهما إلى اليمن «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا**»[4] .

وبالجملة فإن على الداعية أن يكون على قدر كبير من العلم والمعرفة وسعة الثقافة واستيعاب الأمور وفهمها بما ينعكس على شخصيته ودعوته.

---

(١) النمل: ٢٨.

(٢) النمل:٣٧ .

(٣) صحيح مسلم /كتاب الجهاد والسير: باب الأمر بالتيسير وترك التنفير/ ٣٢٦٢ .

(٤) صحيح البخاري/كتاب الجهاد والسير:باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب/ ٢٨١١ ، وصحيح مسلم/كتاب الإيمان:باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير/٣٢٦٣ .

المطلب الثاني: الاستقامة:

وهي لزوم المنهج الحق والمسلك السديد والعمل الرشيد، وهي عمل القلب بالاعتقاد السليم وعمل اللسان بالقول الرشيد وعمل الجوارح بالفعل السديد إخلاصاً لله ورغبة في ثوابه واتباعا لرسوله ﷺ، وهي كذلك تطبيق ما علمه المسلم من أمور دينه فهي العمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع[١].

ولهذا جاء الأمر بالاستقامة كثيراً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فقال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام آمرا له وللمؤمنين بالاستقامة وناهيا لهم عن ضدها وهو الطغيان الذي يعني مجاوزة الحدود في كل شيء ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢].

وأمر الله -عز وجل- رسوله ﷺ أن يأمر الناس بالاستقامة فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري /الطبري (بيروت: دار الكتب العلمية:ط١٤١٢:١) ١٠٦/١١ ، وروح المعاني /الألوسي (بيروت : دار إحياء التراث العربي:ط١٤١٥:١) ٣٧٢/١٢، والمفردات في غريب القرآن/ الراغب الإصفهاني (بيروت: دار المعرفة: د٠ت) ٤١٨، والنهاية في غريب الحديث/ ابن الأثير (بيروت: دار الفكر:١٣٩٩) ١٢٦/٤، وآيات الهداية والاستقامة/ عطية سالم (المدينة: دار التراث:ط١٤١٤:١) ٦/١ .

(٢) هود:١١٢.

(٣) فصلت: ٦.

وأمر الله -جل وعلا- بها موسى وهارون -عليهما السلام- في قوله سبحانه: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(1)]، وبين سبحانه وتعالى الجزاء العظيم والفضل الكبير للاستقامة في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(2)]، وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[(3)]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[(4)].

وبالاستقامة كان النبي ﷺ يوصي أصحابه ويأمرهم بها فعن سفيان ابن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك قال «**قل آمنت بالله فاستقم**»[(5)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن ينجو أحد**

---

(١) يونس:٨٩ .

(٢) الأحقاف:١٣-١٤ .

(٣) فصلت:٣٠-٣١.

(٤) الجن: ١٦ .

(٥) صحيح مسلم / كتاب الإيمان : باب جامع أوصاف الإسلام / ح٥٥.

منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»[١].

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»[٢].

فالمطلوب الاستقامة وهي السداد فإن لم يقدر فالمقاربة وهي دونها فإن نزل عن المقاربة فما بقي إلا الضياع والتفريط[٣].

والاستقامة كلمة آخذة بمجامع الدين كله وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات[٤].

كما أنها تعني لزوم المنهج الوسط بإخلاص وهو الطريق المستقيم الذي لا غلو فيه ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط إذ الشيطان حريص على إغواء بني آدم بطريقين مهلكين هما طريق الإفراط وطريق التفريط

---

(١) صحيح البخاري /كتاب الرقاق:باب القصد والمداومة على العمل / ح٥٩٨٦ ، وصحيح مسلم/كتاب صفة القيامة والجنة والنار:باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله/ ٥٠٤٣ .

(٢) سنن ابن ماجه /كتاب الطهارة وسننها: باب المحافظة على الوضوء/ ٢٧٣ (صححه الألباني: صحيح سنن ابن ماجه:٢٢٤) .

(٣) انظر مدارج السالكين/ ابن القيم (مصر: دار الحديث: د٠ت) ١٠٩/٢ .

(٤) انظر المرجع السابق ١١٠/٢ .

يقول الإمام ابن القيم (والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرا وهما الاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسنة فإن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة أخرجه عن الاعتصام بها وإن رأى فيه حرصا على السنة وشدة طلب لها لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها فأمره بالاجتهاد والجور على النفس ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلا له: إن هذا خير وطاعة والزيادة والاجتهاد فيها أكمل فلا تفتر مع أهل الفتور ولا تنم مع أهل النوم فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها فيخرج عن حدها كما أن الأول خارج عن هذا الحد فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءتهم مع قراءتهم وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف.

وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وإما إلى مجاوزة وهي الإفراط ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان، وقال النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**يا عبد الله بن عمرو إن لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنة أفلح ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر**» قال له ذلك حين أمره بالاقتصاد في العمل، فكل الخير في اجتهاد باقتصاد وإخلاص مقرون بالاتباع كما قال بعض الصحابة: (اقتصاد في سبيل

وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة) فاحرصوا أن تكون أعمالكم على منهاج الأنبياء عليهم السلام وسنتهم وكذلك الرياء في الأعمال يخرجه عن الاستقامة والفتور والتواني يخرجه عنها أيضا[١].

وبما أن الاستقامة هي العمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع فإن المسلم إذا تعلم وعمل حصل على الخير كله والفضل والإحسان والزكاء في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]، والعمل بالعلم هو منهج سلف الأمة الأخيار وأئمتها الأبرار فقد روى الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني قال حدثنا من كان يقرئنا القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا: فعلمنا العلم والعمل[٣] .

استقامة الداعي:

ولا يكون الداعية ذا شأن كبير وتأثير بالغ في الناس بدعوته ما لم يكن مستقيماً على أمر ربه ملتزماً بما يدعو إليه من الخير قدوة صالحة

---

(١) المرجع السابق ٢/١١٢-١١٣ (باختصار).

(٢) فصلت:٣٣.

(٣) مسند الإمام أحمد/باقي مسند الأنصار:حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ/ ٢٣٤٨٢ (إسناده حسن:المسند بتحقيق الأرناؤوط: ٣٨/٤٦٦).

لمدعويه في الخير لأنه يدعو حينئذ بحاله قبل مقاله وبسلوكه قبل كلامه[1].

واستقامة الداعية على الحق وعمله بما يعلم من الزاد الذي يتقوى به في دعوته ومن الأسباب القوية المعينة له على القيام بها ومواصلتها واستمرارها، وترك الداعية للاستقامة والعمل الصالح من أسباب فشله ونفور الناس منه و من دعوته والإعراض عنها وتركها، فلسان حالهم ومقالهم: كيف يدعونا إلى أمر لا يعمل به ؟ فلو كان خيرا لسبقنا إليه، هذا فضلاً عن كون ترك العمل بالعلم مذموما شرعاً ومحذرا منه في القرآن والسنة يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[2]، وقال تعالى عن بعض بني إسرائيل ذماً لهم ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[3]، ووصف الله تعالى من حمل التوراة ولم يحملها بالعمل بها بوصف منفر فقال سبحانه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة /ابن باز (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية:١٤١٨) ٥٩، وأسس الدعوة وآداب الدعاة/محمد الوكيل (جدة: دار المجتمع: ط٢:١٤٠٦) ٩٧، ومقومات الداعية الناجح/علي بادحدح (جدة: دار الأندلس الخضراء: ط١:١٤١٧) ٣٣ .

(٢) الصف:٢-٣.

(٣) البقرة:٤٤.

(٤) الجمعة:٥.

قال ابن كثير (يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسيا ولا يدري ما عليه وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه. ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوه ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ وقال تعالى هاهنا ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)].

وأخبر تعالى عن الذي لم ينفعه علمه فلم يعمل به واصفا إياه بالغواية فقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٢)].

واستعاذ النبي ﷺ من العلم الذي لا ينفع وهو الذي لايقود صاحبه إلى العمل الصالح ففي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان

---

(١) تفسير القرآن الكريم /ابن كثير (بيروت: دار الفكر:١٤٠١) ٤/٣٦٥ .

(٢) الأعراف:١٧٥- ١٧٦ .

يقول **«اللَّهم إني أعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»**[(١)]

وجاء في حديثٍ عند البخاري عن أسامة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **«يجاء بالرجل فيطرح في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه فيطوف به أهل النار فيقولون أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله»**[(٢)]، فكيف يسوغ لداعية أن يدعو لأمر وهو على خلافه وينهى عن شيء وهو مرتكب له وهذا بلا شك هو الازدواجية المذمومة التي تعني التناقض بين الأقوال وبين الأعمال، وبين التنظير وبين التطبيق، ومعلوم أن تلك الازدواجية من أعظم القوادح في شخصية الإنسان أياً كان فضلاً عن أن يكون داعية إلى الله.

المطلب الثالث: الحكمة:

أصل الحكمة في اللغة: المنع يقال (حكمت) عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك، و (الحَكَمَة) – بالفتح – للدابة ما أحاط بحنكيها من حبل ونحوه سميت بذلك لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه، ومنه اشتقاق (الحكمة) لأنها تمنع

---

(١) صحيح مسلم /كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار:باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل/ ٤٨٩٩ .

(٢) صحيح البخاري /كتاب الفتن:باب الفتنة التي تموج كموج البحر/ ٦٥٦٩ .

صاحبها من أخلاق الأرذال... و (أحكمت) الشيء بالألف أتقنته (فاستحكم) هو صار كذلك[١]، (ورجل حكيم إذا كان ذا حجى ولب وإصابة رأي)[٢].

وتأتي الحكمة بمعنى العدل والعلم والحلم والإتقان و الضبط، ومن معانيها في القرآن الكريم: النبوة والقرآن والسنة [٣].

وتعرف في الإصطلاح بأنها: (إصابة الحق بالعلم والعقل) وكذلك بأنها (الإصابة في القول والفعل) وكذلك بأنها: (معرفة الحق والعمل به) وبأنها: (وضع الشيء في موضعه) وبأنها: (فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي)[٤].

وكلها معان متقاربة فالحكمة محورها على الفكر القويم والقول الرشيد والعمل السديد.

قال النووي: (وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها أن الحكمة

---

(١) انظر: المصباح المنير/أحمد الفيومي(بيروت المكتبة العصرية:ط٢: ١٤١٨) ٧٩ .

(٢) التفسير الكبير/الرازي(بيروت:دار إحياء التراث العربي:ط١ :١٤١٥) ٣/٥٩ .

(٣) انظر:المفردات في غريب القرآن(مرجع سابق) ١٢٦، والنهاية في غريب الحديث (مرجع سابق)١/٤١٨ ، والقاموس المحيط (مرجع سابق) ١٤١٥.

(٤) انظر: جامع البيان/الطبري (بيروت:دار الكتب العلمية:ط١ :١٤١٢) ٣/٨٩ ، ومدارج السالكين (مرجع سابق) ٤٨٨ .

عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك)[1].

والحكمة خير كثير ونعمة كبرى يمتن الله بها على من يشاء من عباده ويشرفهم بها ويرفع قدرهم ويعلي شأنهم وذلك لآثارها العظيمة وثمارها الجليلة وصاحب الحكمة محمود عند الله وعند الخلق كما قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2].

ولعظم شأن الحكمة امتن الله تعالى بها على خير خلقه نبينا محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[3].

ووصف الله وحيه لرسوله ﷺ بالحكمة فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (مؤسسة قرطبة:١٤١٢) ٣٨/٢ .

(٢) البقرة:٢٦٩ .

(٣) النساء: ١١٣ .

إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[١] .

وامتن الله تعالى بها على أنبيائه عليهم السلام فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[٢] .

والحكمة هي مما تفضل الله به على الخليل إبراهيم عليه السلام وآله كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[٣] .

وامتن الله تعالى بها على نبيه عيسى عليه السلام فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[٤]، وقال تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[٥]، وهي حقيقة دعوته عليه السلام لبني إسرائيل يقول

---

(١) الإسراء: ٣٩ .

(٢) آل عمران:٨١ .

(٣) النساء:٥٤ .

(٤) المائدة:١١٠.

(٥) آل عمران:٤٨.

تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (١).

وأكرم الله تعالى بها نبيه داود عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

كما أكرم بها سليمان عليه السلام فقال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ (٣).

وشرف بها تعالى العبد الصالح لقمان في قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٤).

والحكمة هي مما دعا به الخليل عليه السلام ربه لهذه الأمة كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٥).

---

(١) الزخرف:٦٣.

(٢) البقرة:٢٥١ .

(٣) ص:٢٠ .

(٤) لقمان: ١٢ .

(٥) البقرة:١٢٩.

والحكمة التي جاء بها محمد ﷺ من أعظم نعم الله على هذه الأمة قال تعالى ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٤).

والحكمة من أعظم ما يغبط عليها من رزقها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ «**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(٥).

---

(١) البقرة:١٥١.

(٢) البقرة:٢٣١.

(٣) آل عمران:١٦٤.

(٤) الجمعة:٢ .

(٥) صحيح البخاري/ كتاب العلم:باب الاغتباط بالعلم والحكمة/ ٧٣ .

ولعظم شأن الحكمة دعا بها النبي الكريم لابن عباس رضي الله عنهما، فعن ابن عباس قال ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال «**اللَّهم علمه الحكمة**»[1].

وقال البخاري: والحكمة الإصابة في غير النبوة[2].

وفي سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكمة مرتين[3].

ومن وجدت عنده مظاهر الحكمة فهو حري بأن يصاحب ويرافق فعن أبي خلاد وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ «**إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة**»[4] .

ولأهمية الحكمة وضرورتها فالمسلم مطالب بالبحث عنها وتحصيلها والتقاطها أيا كان مصدرها لأنه الأحق بها من غيره والأجدر: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها**»[5].

---

(١) صحيح البخاري/ كتاب المناقب: باب ذكر مناقب ابن عباس رضي الله عنهما / ٣٤٧٣ .

(٢) صحيح البخاري/ كتاب المناقب: باب ذكر مناقب ابن عباس رضي الله عنهما / ٣٤٧٣.

(٣) سنن الترمذي/كتاب المناقب: باب مناقب عبدالله بن عباس رضي الله عنهما / ٣٧٥٩ (صححه الألباني: صحيح سنن الترمذي: ٣٠٠٣).

(٤) سنن ابن ماجه/كتاب الزهد: باب الزهد في الدنيا / ٤٠٩١ .

(٥) سنن الترمذي/ كتاب العلم: باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة / ٢٦١١، وسنن ابن ماجه/ كتاب الزهد:باب الحكمة / ٤١٥٩.

ومعنى: (ضالة المؤمن) أي مطلوبه.

و(فهو أحق بها) أي الأولى بقبولها..)[١].

وهي مما يتواصى به السلف والخلف فعن السكن بن عمير قال سمعت وهب بن منبه يقول يا بني عليك بالحكمة فإن الخير في الحكمة كله وتشرف الصغير على الكبير والعبد على الحر وتزيد السيد سؤددا وتجلس الفقير مجالس الملوك[٢] .

أنواع الحكمة وأسباب تحصيلها:

والحكمة نوعان[٣]:

الأولى: الحكمة العلمية النظرية وهذه مرجعها إلى العلم والإدراك والفهم وهي العلم النافع.

الثانية: الحكمة العملية وهذه مرجعها إلى فعل الحق والعدل والصواب وهي العمل الصالح.

ويدل على هذين النوعين ما أخبر الله به عن ابراهيم عليه السلام

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي/العظيم آبادي (بيروت: دار الكتب العلمية: ط١٤١٠:١) ٣٨١/٧، وسنن ابن ماجه بشرح السندي(بيروت: دار المعرفة:ط١: ١٤١٠) ٤٥٤/٤.

(٢) سنن الدارمي/كتاب المقدمة: باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله / ٣٩١ .

(٣) انظر: التفسير الكبير/الرازي(مرجع سابق) ٥٨/٣، ومدارج السالكين/ابن القيم (مرجع سابق) ٤٩٧/٢.

بقوله سبحانه: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾[1] وهي الحكمة العلمية، ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[2] وهي الحكمة العملية.

وما أخبر به عن موسى عليه السلام بقوله: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا ﴾[3] وهي تدل على الحكمة العلمية ﴿ فَاعْبُدْنِي ﴾[4] وهي تدل على الحكمة العملية.

وقال عن عيسى عليه السلام إنه قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾[5] الآية، وهي تدل على الحكمة النظرية، ثم قال: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي ﴾[6] وهي الحكمة العملية.

وما أخبر به عن نبينا محمد ﷺ بقوله سبحانه﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[7] وهي الحكمة العلمية ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾[8] وهي الحكمة العملية.

وما أخبر به سبحانه عن جميع الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ

---

(١) الشعراء:٨٣ .

(٢) الشعراء:٨٣ .

(٣) طه:١٤.

(٤) طه:١٤ .

(٥) مريم: ٣٠ .

(٦) مريم: ٣١ .

(٧) محمد:١٩.

(٨) محمد:١٩.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾[١] وهي الحكمة العلمية ثم قال ﴿فَٱتَّقُونِ ﴾[٢] وهي الحكمة العملية.

قال الرازي: (.. واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فالمرجع بالأول: إلى العلم والإدراك المطابق، وبالثاني: إلى فعل العدل والصواب.)[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله (والحكمة حكمتان: علمية وعملية فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقا وأمرا قدرا وشرعا.

والعلمية كما قال صاحب المنازل: وهي وضع الشيء في موضعه قال: وهي على ثلاث درجات الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده ولا تعجله عن وقته ولا تؤخره عنه.

لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها شرعا وقدرا ولها حدود ونهايات تصل إليها ولا تتعداها ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر كانت الحكمة مراعاة هذه الجهات الثلاث بأن تعطي كل مرتبة حقها الذي أحقه الله لها بشرعه وقدره ولا تتعدى بها حدها فتكون

(١) النحل:٢.

(٢) النحل:٢ .

(٣) التفسير الكبير/الرازي(مرجع سابق) ٥٨/٣ .

متعديا مخالفا للحكمة ولا تطلب تعجيلها عن وقتها فتخالف الحكمة ولا تؤخرها عنه فتفوتها وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع مسبباتها شرعا وقدرا فإضاعتها تعطيل للحكمة بمنزلة إضاعة البذر وسقي الأرض وتعدي الحق: كسقيها فوق حاجتها بحيث يغرق البذر والزرع ويفسد وتعجيلها عن وقتها: كحصاده قبل إدراكه وكماله.

وكذلك ترك الغذاء والشراب واللباس: إخلال بالحكمة وتعدي الحد المحتاج إليه: خروج عنها أيضا وتعجيل ذلك قبل وقته: إخلال بها وتأخيره عن وقته: إخلال بها... فكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبا وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثا...)[1].

وكما أن الحكمة من الصفات الفطرية التي يمن الله بها على من يشاء من عباده فإنها في الوقت ذاته يمكن أن تكتسب وتنمى من خلال أسباب تحصيلها وسبل تنميتها والتي منها:

١- العلم؛ وأساسه وأهمه العلم بالكتاب والسنة، ثم سائر العلوم النافعة التي تثري الثقافة وتزيد المعرفة وتوسع الأفق وتنمي الإدارك وتطور الفكر.

٢- الحلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب أو (هو

(١) مدار السالكين/ابن القيم (مرجع سابق) ٤٩٩/٢ (بتصرف).

الطمأنينة عند سورة الغضب)[١] فلا يستفز طالب الحكمة بقول أو فعل مثير، وهو خصلة رشيدة وسط بين خصلتين ذميمتين هما الغضب والبلادة[٢] .

٣- الأناة وهي التثبت والتروي والتبصر في الأمور وعدم العجلة فيها[٣]، ومن رزق هذه الصفة كانت سببا من أسباب انضباط تصرفاته وحسن تدبيره وهي خصلة رشيدة وسط بين خصلتين ذميمتين هما العجلة والتباطؤ[٤] .

والحلم والأناة خصلتان عظيمتان تدلان على عقل راجح ورأي سديد وتصرف سليم ولذلك مدح بها النبي الكريم أشج عبد القيس فعن زارع وكان في وفد عبد القيس قال لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي ﷺ ورجله قال وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه ثم أتى النبي ﷺ فقال له: «إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة» قال يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال: «بل الله جبلك عليهما» قال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله[٥].

---

(١) التعريفات/الجرجاني(مرجع سابق) ١٢٦.

(٢) انظر:موسوعة أخلاق القرآن(بيروت:دار الرائد العربي:١٤٠٧) ١/١٨٣ .

(٣) القاموس المحيط (مرجع سابق) ١٦٢٨.

(٤) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها /الميداني (دمشق:دار القلم:١٤١٣) ٢/٣٦٧.

(٥) صحيح مسلم/كتاب الإيمان:باب الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ/ ٢٤ ، وسنن أبي داود/كتاب الأدب :باب في قبلة الرجل/ ٤٥٤٨ واللفظ له.

قال النووي: (وأما الحلم فهو العقل، وأما الأناة فهي التثبيت وترك العجلة وهي مقصورة، وسبب قول النبي ﷺ ذلك له ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ، وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبي ﷺ، فقربه النبي ﷺ وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي ﷺ: تبايعون على أنفسكم وقومكم، فقال القوم: نعم، فقال الأشج: يارسول الله إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا ومن أبى قاتلناه، قال: صدقت، إن فيك خصلتين.. الحديث. قال القاضي عياض: فالأناة تربصه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحلم هذا القول الذي قاله الدال على صحة عقله، وجودة نظره..)(١) .

٤- الخبرات والتجارب وهي المهارات والمعارف التي يكتسبها الشخص من خلال ما يمر به من مواقف وأحداث في حياته فهذه يجب أن تستثمر وتستخلص منها العبر والدروس ويستفاد منها في الأحوال المستجدة.

٥- مصاحبة الحكماء ومجالستهم من العلماء والدعاة وأهل الخبرة والتجربة ليستنير بفكرهم ويسترشد بطريقتهم وينهل من معارفهم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي(مرجع سابق) ١/١٨٩ .

ويتعلم من تجاربهم.

ولا شك أن من يرزق الحكمة و يوفق لها قد حاز على خير عظيم وفضل كبير قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[١].

الحكمة الدعوية:

والحكمة من أعظم الركائز وأهمها التي تقوم عليها الدعوة إلى الله ولهذا أمر الله رسوله ﷺ أن يدعو بها في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٢].

والحكمة في المفهوم الدعوي لا تقتصر على الكلام اللين، أو أسلوب الترغيب وحده، أوالتودد والتلطف دوما فحسب بل هي تشمل ذلك وغيره وحقيقتها أن توضع هذه الأمور وغيرها من التصرفات الحميدة والأساليب الجميلة وتستخدم في مواضعها المناسبة لها، فالرفق واللين يستخدمان في موضعهما والحزم والقوة يستخدمان في موضعهما المناسب لهما .

والحكمة لا تعني بأي حال من الأحوال الضعف و الخور والجبن

---

(١) البقرة:٢٦٩.

(٢) النحل:١٢٥.

ولا تعني كذلك العنف والقسوة والشدة دون مبرر شرعي. يقول الشنقيطي رحمه الله: (واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقين: طريق لين وطريق قسوة. أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه. فإن نجحت هذه الطريق فبها ونعمت وهو المطلوب وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده وتقام حدوده وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[1]. ففيه الإشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[2].

والداعية الحكيم هو الذي يقوم بالدعوة على بصيرة ويبلغها بكل ثقة ويؤديها بكل دقة وإتقان فيضع الأمور في نصابها ويقدرها حق قدرها.

فمن الحكمة ألاّ يدعو الداعي إلا بعلم ومعرفة وأن يكون هدفه في دعوته ابتغاء مرضاة الله وتعبيد الناس لله رب العالمين وأن يترفع عما في أيدي الناس وأن يحب الخير لهم ويحسن إليهم وأن يعرض (عن اللغو، وهو الكلام العبث الذي لا فائدة فيه، إذ لا ينبغي للعاقل أن يشغل سمعه

(١) الحديد: ٢٥ .

(٢) أضواء البيان / الشنقيطي (بيروت: عالم الكتب: د ت) ٢/١٧٥.

ولُبّه بما لا جدوى له وبالأولى يتنزه عن أن يصدر منه ذلك)[١] .

ومن **الحكمة في منهج الدعوة**: التدرج في الدعوة، ومراعاة الأولويات فيها، والبدء بالأهم فما دونه، والعناية بالأصول قبل الفروع ويدل على ذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «**إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»[٢].

ومن **الحكمة في موضوعات الدعوة**: اختيار الموضوع المناسب للمدعو كما هو الحال في دعوة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون حيث كانت حال فرعون ظلم بني إسرائيل وإيذاءهم واضطهادهم والتضييق عليهم فكان موضوع دعوتهما له بعد التوحيد رفع الظلم عن بني إسرائيل وترك الطغيان وهذا ما يناسب حاله يقول تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور(تونس:دار سحنون:١٩٩٧) ٢٠/١٤٥ .

(٢) سبق تخريجه ص: ١٥٥.

فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[1]، وقال تعالى لموسى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾[2].

وكذلك الحال في دعوة لوط عليه السلام لقومه حيث دعاهم بعد التوحيد إلى ترك الفاحشة التي كانت شائعة بينهم فكان موضوع الدعوة مناسبا لحالهم وهذا من الحكمة يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[3].

وكذلك الحال في دعوة شعيب عليه السلام لقومه حيث دعاهم بعد التوحيد إلى إيفاء الكيل والميزان وعدم بخس الناس حقوقهم، وهذا هو المناسب لحالهم يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ

---

(١) طه:٤٧ .

(٢) النازعات:١٧-٢٦ .

(٣) الشعراء:١٦٠-١٦٦.

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾[1].

ومن الحكمة في الدعوة اختيار الوقت المناسب لعرضها واستغلال الفرص المناسبة والظروف المواتية لتبليغها، وتجنب الأوقات والأحوال التي لا تتهيأ النفوس فيها للاستماع والاستيعاب، ويدل على ذلك ما جاء في قوله تعالى عن موسى وفرعون والسحرة: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾[2] فاختيار ضحوة ذلك اليوم الذي يجتمع فيه الناس في مكان مكشوف ليرى كل الناس المناظرة الحاسمة[3] هو عين الحكمة وكانت نتيجة المواجهة الحكيمة بعد توفيق الله أن تحول السحرة الكفرة الفجرة إلى مؤمنين أتقياء بررة، ويدل على ذلك أيضا ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)[4]، ومما يدل على ذلك أيضا ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (حدث الناس كل جمعة مرة

---

(١) هود:٨٤-٨٦ .

(٢) طه:٥٦ .

(٣) انظر: محاسن التأويل/القاسمي(بيروت:مؤسسة التاريخ العربي:١٤١٥) ٥/١٠٥.

(٤) صحيح البخاري/كتاب العلم: باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم/ ٦٦، وصحيح مسلم/كتاب صفة القيامة والجنة والنار:باب الاقتصاد في الموعظة/ ٥٠٤٧.

فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرار ولا تمل الناس هذا القرآن ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب)[١].

ومن الحكمة في الدعوة عدم تأخير البيان عن وقته، وقول الحق في الظرف الذي يستدعي قوله فيه كما في قصة مؤمن آل فرعون الذي قال الحق واعترض على فرعون في تهديده بقتل موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[٢].

ومن الحكمة الدعوية في مجال المدعوين: معرفة الداعي للمدعو من حيث طبيعته ومستواه وإمكاناته وظروفه وأحواله واختيار المدعو المناسب لقدرات الداعية وإمكاناته، وظروفه، والتعامل مع المدعو بما يناسب أحواله وطبائعه ومراعاة مدارك المدعوين وعقولهم وإنزال الناس منازلهم، ويدل على ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود

---

(١) صحيح البخاري/كتاب الدعوات: باب ما يكره من السجع في الدعاء/ ٥٨٦٢ .
(٢) غافر:٢٨ .

رضي الله عنه أنه قال: «**ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**»[١].

وأيضا ما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم**»[٢]، وعنها قالت قال رسول الله ﷺ «**أنزلوا الناس منازلهم**»[٣].

ومن الحكمة الدعوية في مجال الأساليب والوسائل: اختيار الأسلوب والوسيلة التي تناسب الموضوع وتناسب المدعو، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ... ﴾[٤] وهذا من الحكمة.

ومنها عدم التصريح بصاحب الخطأ والاكتفاء بالخطأ حينما لا تدعو الحاجة الشرعية لذلك كما في قوله عليه الصلاة والسلام كثيرا «**مابال أقوام**» مثل ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء**

(١) صحيح مسلم/كتاب المقدمة: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع/ ٥.

(٢) صحيح مسلم/كتاب المقدمة: ١ / ٦.

(٣) سنن أبي داود/كتاب الأدب:باب في تنزيل الناس منازلهم/ ٤٢٠٢.

(٤) العنكبوت:٤٦ .

أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[1]، ومثله ما ثبت عن أنس أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش فحمد الله وأثنى عليه فقال: (**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**)[2]

إن الحكمة هي الضابط المهم لتصرفات الداعية وتعامله مع المدعوين. وهي من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية في جميع مراحل دعوته قبل الدعوة وأثناءها وبعدها.

المطلب الرابع: سلامة الأساليب والوسائل الدعوية

سبق تعريف الأسلوب أما الوسيلة فهي الأداة الناقلة للمضمون والأسلوب، وهناك من يرى أنهما بمعنى واحد، ولكل من الوسائل والأساليب أهمية بالغة في الدعوة إلى الله لأنها الطريق الذي تنقل به المضامين الدعوية ويتوصل بها إلى المدعو بل لا يمكن القيام بالدعوة إلا عن طريقها ولذلك اعتبرت ركنا من أركان الدعوة التي هي: الداعي، والمدعو، والمضمون، والوسيلة والأسلوب

---

(١) صحيح البخاري /كتاب الأدب:باب من لم يواجه الناس بالعتاب/ ٥٦٣٦ .

(٢) صحيح مسلم/كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه/٢٤٨٧ .

وكلما كانت الوسائل والأساليب الدعوية قوية ومناسبة كان تأثيرها أبلغ وأنفع، ولذلك لابد من الاهتمام بها والعناية بمعرفتها وإتقان استخدامها.

وترتبط الوسائل والأساليب بالأهداف والغايات والمقاصد ارتباطا وثيقا، فكلما كانت الأهداف والغايات سليمة صحيحة فالواجب أن تكون الوسائل والأساليب كذلك، ولذلك فنظرية الغاية تبرر الوسيلة نظرية مرفوضة في الرؤية الشرعية (فالإسلام يرفض هذه النظرية الفاسدة ويوجب على الإنسان مشروعية الوسائل، فمن راعى مقاصد الشرع دون وسائله فقد أخذ ببعض الدين وترك الآخر والله تعالى يقول ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١)، ومخالفة الشرع في باب الوسائل كمخالفته في باب المقاصد وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢)، فقوله عن أمره عام، لأن النكرة المضافة تفيد العموم، فيشمل أمره في باب الوسائل، وفي باب المقاصد أيضا، والثابت عن الرسول ﷺ أنه كان يوصي المجاهدين بالوصايا الأخلاقية حتى مع الأعداء كنهيه عن

(١) البقرة:٨٥ .

(٢) النور:٦٣ .

الغدر وعن قتل النساء والشيوخ والصبيان)[1]

والأصل في الوسائل والأساليب الدعوية الحل والإباحة بشرط ألَّا يكون فيها مخالفة شرعية؛ إذ الأساليب والوسائل لهما حكم الغايات والأهداف، والدعوة هدفها شريف ومشروع فكذلك يجب أن تكون أساليبها ووسائلها سليمة ليس فيها ما يخالف الشرع المطهر[2] .

فالداعية له حرية اختيار ما يتاح له من الأساليب والوسائل المباحة شرعا والمناسبة لإمكاناته وقدراته والمناسبة لموضوع دعوته ولجمهورها.

أنواع الأساليب الدعوية

وتنقسم الأساليب الدعوية إلى نوعين:

الأول: الأساليب القولية: وهي كل أساليب التبليغ بالقول كالخطبة، والمناظرة، والمحاضرة، والندوة، والمقالة، والرسالة، وتأليف الكتب، ونحوها ولكل واحدة منها خصائصها وسماتها وتطبيقاتها وأساليبها الخاصة بها.

والثاني: الأساليب الفعلية: وهي كل أساليب التبليغ بالفعل كالقدوة الحسنة والجهاد، وإنكار المنكر باليد، والهجر، ونحو ذلك ولكل

---

(١) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية/مصطفى مخدوم (ط١ :١٤٢٠) ٢٩٩ .

(٢) انظر: أصول الدعوة/عبدالكريم زيدان (بيروت:مكتبة الرسالة:ط٣ :١٤٠٩) ٤١٦، والمدخل إلى علم الدعوة/البيانوني (بيروت:مؤسسة الرسالة:ط١٤١٢:١) ٢٨٥، وقواعد الوسائل في الشرعية(مرجع سابق) ٢٨٣ .

واحدة من هذه خصائصها وسماتها وضوابطها وتطبيقاتها وأساليبها الخاصة بها.

وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ذكر عدد كبير من الأساليب والوسائل الدعوية، ومما يدل على الأساليب القولية ما جاء في قوله تعالى عن استخدام الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾[٢]، وعن أسلوب الرفق واللين ما جاء في قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٣]، وما جاء في قوله تعالى لمحمد ﷺ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٤]، وعن أسلوب المناظرة ما جاء في قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥].

---

(١) النحل:١٢٥.

(٢) العنكبوت:٤٦.

(٣) طه:٤٣-٤٤ .

(٤) آل عمران:١٥٩ .

(٥) البقرة:٢٥٨ .

وعن أسلوب القوة والشدة في موضعه ما جاء في قوله تبارك وتعالى عن إبراهيم حين اشتد عناد قومه ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

ومن الأساليب الدعوية ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام في طريقة تغيير المنكر «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[2] .

ومنها ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما في أسلوب التبشير والتيسير والتحذير من التنفير والتعسير: «**يسرا ولا تعسرا و بشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا**»[3].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»[4]

أما الأساليب الدعوية الفعلية فمنها أسلوب القدوة الحسنة ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5]، وقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ

---

(١) الأنبياء: ٦٦-٦٧ .

(٢) صحيح مسلم/كتاب الإيمان:باب كون النهي عن المنكر من الإيمان / ٧٠.

(٣) سبق تخريجه ص ١٧٧.

(٤) سبق تخريجه ص ١٧٧.

(٥) الأحزاب:٢١ .

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[٢].

وعن التغيير باليد كأسلوب فعلي من أساليب الدعوة إلى الله له وقته ما جاء في قصة الخليل حين كسر الأصنام حيث يقول الله تعالى عنه: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾[٤].

وعن الجهاد كأسلوب فعلي من أساليب الدعوة إلى الله له ضوابطه وآدابه يقول الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٥].

---

(١) الممتحنة:٤ .

(٢) الممتحنة:٦ .

(٣) الأنبياء:٥٨ .

(٤) الصافات: ٩١ - ٩٣ .

(٥) التحريم ٩ .

وغير ذلك كثير في نصوص القرآن الكريم والسنة التي تدل على نوعي الأساليب الدعوية.

الوسائل الدعوية

أما الوسائل فهي كثيرة تتجدد مع كل عصر وتتنوع في كل زمن ومنها: المنبر وهو المكان المرتفع الذي يرقى عليه الخطيب أو المتحدث ليسمع الناس ما يقول وقد اتخذه النبي ﷺ، فعن أبي حازم قال أتى رجال إلى سهل بن سعد يسألونه عن المنبر فقال بعث رسول الله ﷺ إلى فلانة امرأة قد سماها سهل: «**أن مري غلامك النجار يعمل لي أعوادا أجلس عليهن إذا كلمت الناس**» فأمرته يعملها من طرفاء الغابة ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله ﷺ بها فأمر بها فوضعت فجلس عليه»[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لي غلاما نجارا قال إن شئت قال فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشق فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر[٢] .

---

(١) صحيح البخاري /كتاب البيوع :باب النجار/١٩٥٢.

(٢) صحيح البخاري /كتاب البيوع :باب النجار/ ١٩٥٣.

وعن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو قال ينافح عن رسول الله ﷺ ويقول رسول الله ﷺ «**إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ** »[1].

ومن الوسائل الدعوية: الكتب ذاتها، والرسائل نفسها، واتخاذ الخاتم، وإرسال الرسل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كتب النبي ﷺ كتابا أو أراد أن يكتب فقيل له إنهم لا يقرؤون كتابا إلا مختوما فاتخذ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله كأني أنظر إلى بياضه في يده فقلت لقتادة: من قال نقشه محمد رسول الله ﷺ ؟ قال : أنس[2].

وعن أنس أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ [3].

وعن أنس أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي

---

(١) سنن الترمذي/كتاب الأدب:باب ما جاء في إنشاد الشعر/ ٢٧٧٣ (صححه الألباني:صحيح سنن الترمذي:٢٢٨٢).

(٢) صحيح البخاري /كتاب العلم:باب مايذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم/٦٣.

(٣) صحيح مسلم/ كتاب الجهاد والسير:باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الأرض/ ٣٣٢٣.

فقيل إنهم لا يقبلون كتابا إلا بخاتم فصاغ رسول الله ﷺ خاتما حلقته فضة ونقش فيه محمد رسول الله[1].

وكتب سليمان عليه السلام كتابا إلى ملكة سبأ يتضمن دعوتها إلى الله وأرسله مع الهدهد بعد أن أخبره بخبرها مع قومها من عبادة غير الله كما في قوله تعالى عن ذلك ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[2].

---

(١) صحيح مسلم/كتاب اللباس والزينة:باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتما/ ٣٩٠٤ .

(٢) النمل: ٢٠ - ٣١ .

ومن الوسائل ذات الانتشار الواسع والتأثير البالغ في العصر الحاضر والتي يمكن استخدامها في الدعوة إلى الله: وسائل الاتصال الحديثة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون وإنترنت ونحوها والتي غزت البر والبحر والجو ووصلت إلى كل مكان، فلا يكاد يخلو منها بيت مدر ولا وبر، وقدمت المعلومة في قوالب مشوقة ومثيرة ومؤثرة بدرجة كبيرة[١] .

واستخدام الداعية لوسائل الدعوة وأساليبها يجب أن يكون وفق الحكمة وفي إطارها بمعنى أن تستخدم الوسائل والأساليب المناسبة للداعي وللمضمون وللمدعو بما يحقق بإذن الله أعلى درجات التأثير والإقناع وهداية المدعو للفلاح والرشاد والسعادة في الدنيا والآخرة .

المطلب الخامس: الصبر:

الصبر في اللغة: الحبس والكف والمنع ومنه: قتل فلان صبرا إذا أمسك وحبس ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[٢].

(١) انظر: أصول الدعوة/زيدان(مرجع سابق) ٤١٧، وفقه الدعوة إلى الله/ علي محمود (القاهرة: دار الوفاء:١٤١٠) ٩٦/١ والمدخل إلى علم الدعوة/البيانوني (مرجع سابق) ٢٤٢ و ٢٨٢، والدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها/أحمد غلوش (القاهر: دار الكتاب المصري:١٤٠٧) ٢٧٦، والدعوة الإسلامية: الوسائل والأساليب/محمد يوسف (ط١ : ١٤٠٧) ٨ .

(٢) الكهف: ٢٨، انظر: مدارج السالكين/ ابن القيم(مرجع سابق) ١٦٢/٢.

ومن تعريفاته في الاصطلاح : حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش ومن تعريفاته أيضا: حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضات الله[1].

ويعرف بأنه: حبس النفس وحملها على ما تكره (من فعل الطاعة وترك المعصية)[2].

وقال ابن العربي: (قال القاضي: الصبر مقام عظيم من مقامات الدين، وهو حبس النفس عما تكرهه من تسريح الخواطر، وإرسال اللسان، وانبساط الجوارح على ما يخالف حال الصبر..)[3].

والصبر من خصائص النفس الإنسانية وله قيمة كبيرة وأهمية بالغة وليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة بل هو ضرورة لازمة للإنسان أيا كان ليرقى مادياً ومعنوياً ويسعد فردياً واجتماعياً فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا إلا بصبر فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بصبر، في الدنيا لا تتحقق الآمال ولا تنال

---

(١) انظر: جامع البيان/ الطبري (مرجع سابق) ٢٩٨/١، وأحكام القرآن/ ابن العربي (بيروت: دار الفكر: د٠ت) ١٦٥٦/٤، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين/ ابن القيم (بيروت: دار الكتب العلمية:د٠) ٧، وبصائر ذوي التمييز/ الفيروزآبادي (مرجع سابق) ٣٧١/٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن/ السعدي(بيروت:مؤسسة الرسالة:ط١ :١٤١٦) ٥٧ .

(٣) أحكام القرآن/ ابن العربي (مرجع سابق) ١٦٥٦/٤ .

المقاصد ولا يؤتي عمل أكله إلا بصبر فمن صبر ظفر والصبر مفتاح الفرج والنصر مع الصبر، وبالصبر ينال المسلم الأجر الأخروي التام الذي لا حد له ولا حصر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)]، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[(٢)]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خير عيش أدركناه بالصبر)[(٣)].

والصبر خصلة فطرية ومكتسبة فأصل الصبر موجود عند كل أحد على تفاوت فيه وهو قابل للتحصيل والتنمية والزيادة ولهذا قال النبي ﷺ «**ومن يتصبر يصبره الله**»[(٤)].

(والصبر إما بدني كتحمل المشاق بالبدن فعلا كتعاطي الأعمال الشاقة، أو احتمالا كالصبر على الضرب الشديد. وإما نفسي وهو أعظم كالصبر عن شهوة الفرج والبطن وغيرهما من مشتهيات الطبع.)[(٥)]

---

(١) الزمر: ١٠ .

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) صحيح البخاري/كتاب الرقائق: باب الصبرعن محارم الله .

(٤) صحيح البخاري/كتاب الزكاة: باب الاستعفاف عن المسألة/ ١٣٧٦ ، وصحيح مسلم/كتاب الزكاة: باب فضل التعفف والصبر/١٧٤٥.

(٥) انظر: التفسير الكبير/الرازي (مرجع سابق) ١٣٨/٤، وإحياء علوم الدين/ الغزالي (بيروت: دار إحياء التراث العربي: د٠ت) ٦٦/٤، وعدة الصابرين/ابن القيم (مرجع سابق) ١٤.

(وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والعمل... ولكن أن يكون للنفس غلوبا، وللأمور متحملا، ولجأشه عند الحفاظ مرتبطا)[1].

والصبر واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر[2].

وهو الجامع لكثير من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة التي تقوم على حبس النفس ومنعها عن كل ما لا ينبغي فعله وتوطينها وتعويدها وقسرها على ما ينبغي فعله من المحامد والمكارم كالعفة، والحلم، وكظم الغيظ، وكتمان السر، والزهد، والقناعة وغيرها من الأخلاق الكريمة والسجايا الحميدة التي مدارها على الصبر...[3].

فضل الصبر

ولهذا جاءت أدلة شرعية كثيرة من الكتاب والسنة تأمر بالصبر وتحث عليه بأوجه متعددة منها[4].

---

(١) أدب الدنيا والدين/ الماوردي (مرجع سابق) ٤٠٦.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين/الغزالي (مرجع سابق) ٤/٦٠، وطريق الهجرتين/ابن القيم(القاهرة: دار الحديث:١٩٩١) ٢٥٢.

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط/ أبوحيان الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية:ط١: ١٤١٣) ١/٦٢٤ .

(٤) انظر: مدارج السالكين/ ابن القيم(مرجع سابق) ٢/١٥٩-١٦٢ .

الأول: الأمر به صراحة كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[١]. وقوله سبحانه: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٢]، وقوله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣]، وقوله عز وجل: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[٤].

وقال النبي ﷺ «**ومن يتصبر يصبره الله**»[٥].

وقال النبي ﷺ للمرأة السوداء التي كانت تصرع فسألته أن يدعو لها: «**إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت: إني أتكشف فادع الله: ألاّ أتكشف فدعا لها**»[٦].

وأمر ﷺ الأنصار رضي الله تعالى عنهم بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض[٧].

---

(١) البقرة: ١٥٣ .

(٢) البقرة: ٤٥ .

(٣) آل عمران:٢٠٠.

(٤) النحل: ١٢٧.

(٥) سبق تخريجه ص ٢١٧.

(٦) صحيح البخاري/كتاب المرضى: باب فضل من يصرع من الريح/٥٢٢٠ ،وصحيح ،وصحيح مسلم /كتاب البر والصلة والآداب:باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن/٤٦٧٣ .

(٧) صحيح البخاري/كتاب المساقاة:باب القطائع/٢٢٠٣.

وأمر عليه الصلاة والسلام بالصبر عند المصيبة وأخبر: أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**الصبر عند الصدمة الأولى**»[1].

الثاني: النهي عن ضده كما في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[2]. وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾[3] فإن تولية الأدبار: ترك للصبر والمصابرة، وقوله جل جلاله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[4] فإن إبطالها ترك الصبر على إتمامها وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾[5] فإن الوهن من عدم الصبر.

الثالث: الثناء على الصبر ذاته ووصفه بأنه خير وأنه من عزائم الأمور وربطه بالإيمان والعمل الصالح وأنه ضياء وارتباط النصر به كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

---

(١) صحيح البخاري/الجنائز: باب الصبر عند الصدمة الأولى/١٢١٩، وصحيح مسلم/كتاب الجنائز: باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى /١٥٣٤ .

(٢) الأحقاف: ٣٥ .

(٣) الأنفال: ١٥ .

(٤) محمد: ٣٣ .

(٥) آل عمران: ١٣٩.

(٦) النحل: ١٢٦.

(٧) النساء: ٢٥.

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[3]، وقوله سبحانه ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[4].

وفي الحديث: «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**»[5].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما أعطي أحد عطاء خيرا له وأوسع: من الصبر**»[6].

وأخبر النبي في الحديث الصحيح أن : « **الصبر ضياء** »[7]،

---

(١) آل عمران:١٨٦.

(٢) الشورى:٤٣.

(٣) لقمان:١٧.

(٤) آل عمران:١٧.

(٥) صحيح مسلم/كتاب الزهد والرقائق: باب المؤمن أمره كله خير/٥٣١٨.

(٦) صحيح البخاري/كتاب الزكاة: باب الاستعفاف عن المسألة/١٣٧٦، وصحيح مسلم/كتاب الزكاة : باب فضل التعفف والصبر/١٧٤٥.

(٧) صحيح مسلم/كتاب الطهارة : باب فضل الوضوء/ ٣٢٨ ، وسنن الترمذي/كتاب الدعوات: باب منه/ ٣٤٣٩ .

وقَالَ عليه الصلاة والسلام : «**واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثير، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأن الفرج مع الكرب، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**»[1] .

الرابع: الثناء على أهله ووصفهم بأفضل الأوصاف وأكملها وأنهم المنتفعون بالآيات والعبر وأنهم خيار الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2]، وكما في قوله تعالى لموسى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[3]، وقوله سبحانه في أهل سبأ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[4]، وقوله عز وجل في سورة الشورى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[5]، وعن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط**

---

(١) مسند أحمد/ومن مسند بني هاشم:مسند عبدالله بن عباس/٢٨٠٣ (اسناده صحيح: المسند بتحقيق الأرناؤوط :١٩/٥) .

(٢) البقرة: ١٧٧.

(٣) إبراهيم:٥ .

(٤) سبأ: ١٩ .

(٥) الشورى:٣٢-٣٣ .

الناس ولا يصبر على أذاهم»[١].

الخامس: بيان عاقبة الصبر وثمرته وفوائده والجزاء المترتب عليه في الدنيا والآخرة وهذا كثير جدا في القرآن والسنة: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٢]، وقوله سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[٣]، وقوله تعالى ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[٤]، وقوله جل وعلا ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٧]،

---

(١) سنن الترمذي/كتاب صفة القيامة والرقائق والورع:باب منه/٢٤٣١ ، وسنن ابن ماجه/كتاب الفتن:باب الصبر على البلاء/ ٤٠٢٢ (صححه الألباني:صحيح سنن ابن ماجه:٣٢٥٧) .

(٢) آل عمران:١٥٥-١٥٧ .

(٣) الرعد:٢٢ .

(٤) الرعد:٢٤.

(٥) المؤمنون:١١١.

(٦) الفرقان:٧٥ .

(٧) القصص:٥٤.

وقوله تعالى ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2]، وقوله تبارك تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾[4] وقوله عز وجل: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾[5]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[6]، وقوله سبحانه: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ

---

(١) النحل:٩٦ .

(٢) الزمر:١٠ .

(٣) فصلت:٣٥ .

(٤) القصص:٨٠ .

(٥) الإنسان:١٢-١٣.

(٦) آل عمران:١٤٦.

(٧) آل عمران:١٢٠.

فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾(١)، وقوله جل وعلا: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٣).

وعن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال: ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. أو كلمة نحوها**»(٤).

أقسام الصبر

ويقسم بعض العلماء الصبر إلى أقسام ثلاثة(٥) هي:

١. الصبر على طاعة الله.

٢. الصبر عن معصية لله.

٣. الصبر على أقدار الله المؤلمة.

---

(١) الأعراف:١٣٧.

(٢) يوسف:٩٠ .

(٣) السجدة:٢٤ .

(٤) سنن الترمذي/كتاب الزهد:باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر/ ٢٢٤٧ (صححه الألباني:صحيح سنن الترمذي:١٨٩٤) .

(٥) انظر: مدارج السالكين/ابن القيم(مرجع سابق) ٦٣/٢ .

قال الإمام ابن القيم: (فالأولان: صبر على ما يتعلق بالكسب والثالث: صبر على ما لا كسب للعبد فيه... والأولان أكمل من الثالث... ونقل ابن القيم عن ابن تيمية قوله كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها: أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة فإنه كان شابا وداعية الشباب إليها قوية وعزوبا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته وغريبا والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله ومملوكا والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر والمرأة جميلة وذات منصب وهي سيدته وقد غاب الرقيب وهي الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص ومع ذلك توعدته إن لم يفعل: بالسجن والصغار ومع هذه الدواعي كلها: صبر اختيارا وإيثارا لما عند الله وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسب.

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات: أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل فإن مصلحة فعل الطاعة: أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة: أبغض إليه وأكره من

مفسدة وجود المعصية[١].

وكذلك كان صبر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على ما نالهم في الله باختيارهم وفعلهم ومقاومتهم قومهم: أكمل من صبر أيوب على ما ناله في الله من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسببا عن فعله وكذلك كان صبر إسماعيل الذبيح وصبر أبيه إبراهيم عليهما السلام على تنفيذ أمر الله أكمل من صبر يعقوب على فقد يوسف[٢].

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (فهو ثلاث أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة حتى تتخطاها. فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه وخصوصاً الطاعة الشاقة والمستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئا وحصل على الحرمان وكذلك المعصية التي تشد دواعي النفس و نوازعها إليها وهي محل قدرة العبد فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم، وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار، وكذلك البلاء الشاق، خصوصاً إن استمر، فهذا تضعف معه

---

(١) المرجع السابق : ١٦٣/٢.

(٢) المرجع السابق : ١٧٦/٢ .

القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والافتقار على الدوام، فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله..)[1].

ويحدد الامام الماوردي للصبر ستة أقسام فيقول ما ملخصه: واعلم أن الصبر على ستة أقسام، وهو في كل قسم منها محمود، فأول أقسامه وأولاها: الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه، لأن به تخلص الطاعة وبها يصح الدين وتؤدى الفروض ويستحق الثواب.

والقسم الثاني: الصبر على ما تقتضيه أوقاته من رزية قد أجهده الحزن عليها، أو حادثة قد كده الهم بها، فإن الصبر عليها يعقبه الراحة منها، ويكسبه المثوبة عنها، فإن صبر طائعا وإلا احتمل هما لازما، وصبر كارها آثما.

والقسم الثالث: الصبر على ما فات إدراكه من رغبة مرجوة، وأعوز نيله من مسرة مأمولة فإن الصبر عنها يعقب السلو منها، والأسف بعد اليأس خرق.

والقسم الرابع: الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها، أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها فلا يتعجل هم ما لم يأت، فإن أكثر الهموم كاذبة، وإن الأغلب من الخوف مدفوع.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن/السعدي(مرجع سابق) ٥٧ .

والقسم الخامس: الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها، وينتظر من نعمة يأملها فإنه إن أدهشه التوقع لها، وأذهله التطلع إليها انسدت عليه سبل المطالب واستفزه تسويل المطامع فكان أبعد لرجائه وأعظم لبلائه، وإذا كان مع الرغبة وقورا وعند الطلب صبورا انجلت عنه عماية الدهش وانجابت عنه حيرة الوله، فأبصر رشده وعرف قصده.

والقسم السادس: الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف، فبالصبر في هذا تنفتح وجوه الآراء، وتستدفع مكائد الأعداء، فإن من قل صبره عزب رأيه، واشتد جزعه، فصار صريع همومه، وفريسة غمومه[1].

وهذه الأقسام الستة هي في حقيقتها مجالات الصبر التي لاتخرج عن الأقسام الثلاثة السابقة، وهي أنواع مرتبطة ببعضها لا ينفك أحدها عن الاخر.

ولا شك في أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس ويعظم أمره ويزيد أجره كلما كان الداعي إليه أكبر وأعظم و(هذا الباب ينقسم فيه الصبر إلى قسمين أحدهما بحسب قوة الداعي إلى الفعل الثاني بسهولته على العبد فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق وإن فقدا معا يعني قوة الداعي وسهولته سهل الصبر عنه وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه دون آخر فمن لا داعي له إلى قتل النفس والسرقة وشرب الخمر وأكل الحشيشة وأنواع الفواحش ولا هو

---

(١) أدب الدنيا والدين/الماوردي(مرجع سابق) ٤٠٦-٤٠٩ .

سهل عليه فصبره عنه من أيسر شيء وأسهله ومن اشتد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم وصبر الشباب عن الفاحشة وصبر الغني عن تناول اللذات والشهوات منزلتهم عند الله منزلة عظيمة عالية منيعة لا يصل إليها إلا من صبر مثل صبرهم وكذلك من صبر على موت أولاده وأبويه وأقاربه وأصحابه ونحوهم وهو مع ذلك صابر محتسب يأمر أهله بالصبر وينهاهم عن لطم الخدود وشق الجيوب وعن كلام مالا يجوز لهم شرعا فهذا له من الثواب الجزيل والأجر العظيم ما لا يعلمه إلا الله.... ولهذا روى الامام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «**عجب ربك من شاب ليست له صبوة**»(١) وفي الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»(٢).

ولذلك استحق هؤلاء السبعة أن يظلهم في ظله لكمال صبرهم

---

(١) مسند الإمام أحمد/مسند الشاميين:حديث عقبة بن عامر الجهني/ ١٧٣٧ (حسن لغيره:المسند بتحقيق الأرناؤوط:٢٨/٦٠٠) .

(٢) صحيح البخاري/كتاب الأذان:باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد/٦٢٠، وصحيح مسلم /كتاب الزكاة:باب فضل إخفاء الصدقة/١٧١٢ .

ومشقته على نفوسهم فصبر الملك على العدل مع قدرته على الظلم والانتقام من رعيته وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه وصبر الرجل على ملازمة المسجد وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن شماله مع قدرته على الرياء وصبر المدعو إلى الفاحشة مع جمال الداعي وصبر المتحابين في الله في اجتماعهما وانفرادهما وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك عن الناس فهذه الأمور فيها مشقة على النفوس فالصبر عليها بتوفيق الله وفضله وإحسانه صبر جميل عظيم.

ولما كان الداعي- في حق بعض الناس- ضعيفاً ولم يصبروا مع تمكنهم من الصبر كان عقوبتهم عند الله تعالى أشد من عقوبة غيرهم كالشيخ الزاني والملك الكذاب والفقير المختال، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ملك كذاب والعائل المستكبر والشيخ الزاني**»[١].

وإنما كانوا أشد عقوبة من غيرهم لسهولة التصبر عن هذه المحرمات عليهم ولضعف دواعيها في حقهم فكان تركهم الصبر عنها دليلا على تمردهم على الله تعالى وعتوهم عليه[٢].

(١) صحيح مسلم/كتاب الإيمان:باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية/١٥٦.

(٢) انظر: تسلية أهل المصائب/محمد المنبجي (بيروت:دار الكتب العلمية:ط١) ١٤٨-١٥٠.

صبر الدعوة :

والداعية محتاج إلى أنواع الصبر كلها في حياته العامة شأنه شأن عموم المسلمين، وفي حياته الدعوية خاصة مما نستطيع أن نسميه بصبر الدعوة وهو الصبر الذي تقدم به أولو العزم من الرسل على غيرهم من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وذلك لأن الدعوة مهمة شاقة ورسالة كبيرة طريقها محفوف بالعقبات ومجالها مليء بالصعوبات وصاحبها معرض للمحن والابتلاءات فهي تحتاج إلى عزيمة قوية وإرادة صلبة ويقين راسخ يقول الشنقيطي (فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسنادا مطلقا إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل وأتباعهم وهو مستلزم للأذى من الناس لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة وأغراضهم الباطلة ولذا قال العبد الصالح لقمان الحكيم لولده فيما قص الله عنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ... ﴾[1]، ولما قال النبي ﷺ لورقة بن نوفل أو مخرجي هم؟ يعني قريشا أخبره ورقة أن هذا الدين الذي جاء به لم يأت به أحد إلا عودي وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما ترك الحق لعمر صديقا)[2].

(١) لقمان:١٧.

(٢) أضواء البيان/الشنقيطي(مرجع سابق) ٢/١٧٤.

فلهذا جاءت آيات تأمر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام صراحة بالصبر حين الدعوة وعلى تبعاتها كما في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٢)، وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾(٣)، وقوله عز وجل: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾(٤) بعد أمره بالدعوة وعبادات أخر، وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾(٥)، وقوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾(٧)، وقوله تعالى:

---

(١) الأحقاف:٣٥.

(٢) النحل:١٢٥-١٢٨.

(٣) يونس: ١٠٩.

(٤) المدثر:٧.

(٥) غافر:٧٧.

(٦) الروم:٦٠.

(٧) الإنسان:٢٤.

﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[6].

إن الداعية مطالب بأن يتحلى بالصبر ويلتزم به في كل أحواله وأموره قبل دعوته وفي أثنائها وبعد أدائها، فقبل دعوته بالصبر على تصحيح النية والإخلاص وعقد العزم على توفية المأمور به وتجنب دواعي الرياء والسمعة والاستعداد لها بالعلم والعمل والأساليب المناسبة.

---

(١) المزمل: ١٠.

(٢) ص: ١٧.

(٣) الكهف: ٢٨.

(٤) طه: ١٣٠.

(٥) الأنعام: ٣٤ .

(٦) هود: ٤٩.

وحال دعوته بأن يلازم الصبر عند دواعي التقصير والتفريط ويلازم سلامة النية وحضور القلب ويصبر على ممارسة الدعوة وفق الضوابط الشرعية والقواعد المرعية.

وبعد الدعوة يصبر عن الإتيان بما يبطل عمله من العجب والغرور والتكبر إذا نجحت دعوته أو الضجر والسخط والتصرفات غير السوية مع المدعوين إذا لم تحقق دعوته نتائجها المرجوة.

ويجب على الداعية أن يجاهد نفسه على الصبر ويروض نفسه عليه ويتحرى أسباب حصوله ويتجنب الآفات المعيقة له من العجلة والغضب وشدة الحزن والضيق والكآبة واليأس.

وإذا كان الداعية صابراً في دعوته نال راحة البال وطمأنينة القلب وقوة اليقين والمضي في دعوته دون أن يصرفه صارف أو يمنعه مانع أما إذا فقد الصبر فإنه يضعف ويفتر عن القيام بالدعوة.

الخاتمة

قد تبين مما سبق الركائز التي يقوم عليها منهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله تعالى وهي:

١- العلم بأنواعه الثلاثة: العلم بموضوع الدعوة، والعلم بكيفيتها، والعلم بجمهورها.

٢- الاستقامة وذلك بلزوم الداعية للمعتقد السليم. الفكر القويم، والقول الرشيد، والعمل السديد.

٣- الحكمة التي تضبط العمل الدعوي، وتجعله متقنا متوازنا، مسددا غير مضطرب ولا متهور.

٤- الوسائل والأساليب الدعوية التي يجب أن تكون شرعية تناسب العمل الدعوي الشريف، وتتواكب مع أهدافه السامية، وغاياته النبيلة.

٥- الصبر على تبعات الدعوة إذ هي عمل شاق يحتاج إلى جهد كبير في الغالب وقد يخالف أهواء بعض المدعوين فربما نال الداعية بسبب ذلك شيء من الأذى وواجه بعض العقبات التي يحتاج معها إلى الصبر في كل أحواله وأوقاته.

ولابد من اجتماع هذه الركائز الخمس في الداعية الذي يروم المنهج السديد ويتطلع للنجاح الكبير في دنياه وأخراه، وهذا ما يجب أن يتواصى به الدعاة دوما. هذا فيما يتعلق بالمجال العملي.

أما في المجال العلمي فإن الحاجة لا تزال قائمة لإجراء المزيد من البحث والدراسة في منهج الدعوة لتقديم ما يعين على نجاح العمل الدعوي وتحقيق الخير والفلاح للأمة بإذن الله تعالى.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.